صورة الرجل في المأثور الشعبي (دراسة تحليلية في منظومة الفكر الاجتماعي)

م. ريم ايوب محمد م. نجلاء عادل حامد

جامعة الموصل / كلية الآداب / قسم علم الاجتماع

(قدم للنشر في ٢٠١٨/٩/٢٣ ، قبل للنشر في ٢٠١٨/١٠/٣١)

ملخص البحث:

لقيت مسالة "الرجل في المأثور الشعبي "اهتماماً واضحاً خاصة في الامثال والحكايات الشعبية اذا ان موضوعاً مثله يفضي بنا مباشرة الى منظومة الوعي ومكوناتها من الافكار والتصورات والرؤى والمعتقدات والقيم والمثل ،سواء بالنسبة للجماعة البشرية التي انتجت هذه المنظومة من الوعي ،او بالنسبة للكاتب او الدارس الذي يتناول الموضوع بالعرض والتحليل ، واجمالا يمكننا ان نقسم اتجاهات تناول هذا الموضوع الى اتجاهين اولهما :تمجيد الرجل في المثل والحكاية الشعبية ،والرفع من مكانته ،سواء داخل الاسرة او في الحياة الاجتماعية بشكل عام .والثاني:ابراز معالم الصفات السلبية للرجل في مجمل الحياة الاجتماعية وتوجيه النقد الواضح لها .وهذه الاتجاهات تم معالجتها على اساس مادة منتقاة من الامثال والحكايات الشعبية .تم انتقاء هذه المادة على اساس مسايرتها للتقسيم المذكور .تم التعامل معها عبر منهج تحليل المضمون ،ومن ثم فان معالم الصورة للرجل ضمن هذين الاتجاهين هي معالم مطابقة للواقع الى حد كبير ،والمقصد منها طيباً ليسهم في تنوير الوعي الاجتماعي،ان كان لصورة الرجل او للماثور الشعبي .

Man's Image in Folk Sayings (analytic study in the social thinking system)

Abstract:

This subject has been paid due regard especially in proverbs and folk stories. Such a subject leads us directly to awareness and other thoughts ,imaginations, visions, beliefs, values and ideals .That has to do with human communities which produced the system of awareness and also has to do with the writer or the learner who tackles this issue by presentation and analysis .All in all, we can suggest two trends concerning this subject: The first is to glorify man in proverbs and folk stories and consolidating his status among his family members or in social life in general .The second is to shed light on the negative features of man life and addressing them by clear criticism. This material has been chosen on the basis of its treatment of the above division .In has been dealt with via analyzing content. The image of man according to these two trends coincides with the reality to a great extent .It is intended to illuminate social thought for both man's image or folk sayinges .

المقدمة :

يزخر الماثور الشعبي بالعديد من النتاجات هي ثمرة تجربة الاجداد والاولين ،ومن بين هذا الابداع (المثل والحكاية الشعبية) فعند استماعنا للعديد من الامثال الشعبية والحكايات نلاحظ جمالا ادبيا لايقل عن جمال الشعر والادب الفصيح ،وهي جزء بسيط من بعض التعابير التي بقيت راسخة في اذهان العديد يكررونها في مجالسهم وكانها حكم قطعي حول الرجولة ،فكرم الرجل الشرقي حظي بمكانة انعكست في الثقافة الاجتماعية تُعلي من قيمة الرجل على حساب المرأة وتقدم امثلة ونماذج لسمات شخصية الرجل العامل والشجاع والكريم والامين . . . ،الا انها تنتقد سمات اخرى تعتبرها سلبية كالخمول والكسل والجبن والبخل ،حيث نجد في الامثال والحكايات الشعبية تصور بالاساس عقلية المجتمع الذكوري.

على هذا فالثقافة الشعبية هي التجلي الثقافي لمناشط الحياة ومواقفها ،وهي تعبير عن الموقف ونقيضه ،فلا غرابة من احتوائها على تعبيرات تشير الى سمات ايجابية عن الرجل واعلاء مكانته وهنالك ايضا ما يذم السمات والصفات السلبية، واستطراداً لهذا يحسن توضيح اننا استخدمنا تعبير (الماثور الشعبي) بوصفه مصطلحاً علمياً يدل على البناء الثقافي الذي تنتجه الجماعات الشعبية وتتبين مكوناته باعتبارها مأثوراً مشتركاً وارثاً مشاعاً ، لقد تضمن البحث ثلاثة مباحث تضمن المبحث الاول الاطار النظري للبحث من مشكلة البحث واهميته واهدافه والمفاهيم الخاصة به ،واحتوى المبحث الثاني على السمات الايجابية للرجل في الامثال والحكايات الشعبية ،بينما كان المبحث الثالث عن النقد الاجتماعي للسمات السلبية ثم اتممنا البحث بنتائج وخاتمة .

المبحث الاول :الاطار النظري للبحث

١–موضوع البحث: التراث الشعبي هو كل ماصدر من الشعب من افكار واعمال في ازمنة متباعدة وكثيرا مايكون الواقع قد تجاوزها لكن قيمتها انها تظل في التداول وبصورة مشتركة من قبل كافة طبقات المجتمع ،فللشعب نوعين من التراث المنقول اما عن طريقة الكتابة (التدوين) وتراث منقول (بالتداول) [١] ،وبما ان الماثور الشعبي يتضمن كماً هائلا من المحتويات سواء اكانت شعراً شعبياً ام نثراً ،حكايات واساطير وخرافات شعبية، امثالاً وحكماً ،فهو بما يحمله من مضامين تتجسد فيما يجيش في صدور الشعب من معاناة والالام ،وافراحٍ واحزان، قيماً واخلاقيات ومعايير اجتماعية وتقاليد يحملها افراد الشعب لالاف السنين ،فو سجل حافل بمآثر القدماء دارج على السنة الشهود والحاضرين من الناس ،من هنا يتجسد موضوع بحثنا في عمق المآثور الشعبي التاريخي وفي ما يحمله من ادق

التفاصيل عن طبيعة الحياة الاجتماعية لمن سبق ، ونتيجة لسعة وتنوع المآثور الشعبي فقد إرتات الباحثتان الاقتصار في البحث على صنفين من المآثور الشعبي وهما الحكاية والمثل الشعبي لما يتضمنانه من عمق تاريخي واصالة فكرية وخبرة اجتماعية للحياة بادق تفاصيلها فالامثال والحكايات الشعبية هي المرآة الاكثر سطوعا لعكس ما يختلج في نفوس السابقين بشكل صادق ، وكان بمثابة القوانين التي تنظم العلاقات الاجتماعية بين الناس ، وقد طرقت اغراضا متعددة ومتنوعة عن الحياة الاجتماعية اليومية ،ومنها انها رسمت للرجل صورة واضحة المعالم ، وكما هي موجودة في الواقع الاجتماعي المعاش.

٢-اهمية البحث :يستمد البحث اهميته من اهمية المآثور الشعبي ككل واهمية الحكايات والامثال الشعبية ودورها في رسم صورة عن الواقع الاجتماعي المعاش في اي مجتمع من المجتمعات بأدق تفاصيل الحياة اليومية ،وما تضمنته تلك الامثال والحكايات من عادات وتقاليد واخلاق وقيم ومعتقدات ،ورسمها بصورة واضحة المعالم عن اي دور يمارسه الافراد في الحياة سواء (كان رجل او امرأة ،ام او اب، زوج او وجة ،ابن او ابنة ،حماة او كنة . . .الخ) وبالتالي فهي تعطي صورة لكل نمط من انماط الشخصية على اختلاف وتنوع الادوار والمراكز الاجتماعية .

٣-اهداف البحث :يروم البحث الوقوف على اهم الملامح الشخصية للرجل وصورته في المثل والحكاية الشعبية الموصلية بكل ادوراه التي يمارسها في المجتمع سواءً أكان (زوج،اب،ابن،اخ. . . الخ)، كما يسعى البحث الى ان يكون اضافة جديدة في مكتبة علم الاجتماع لكونه يبحث في التراث الشعبي لمدينة الموصل في امثالها وحكاياتها الشعبية.

٤-نوع ومنهجية البحث: مجموعة المبادئ والاساليب العلمية التي تؤمن اطاراً تحليلياً للبحث تؤدي الى الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة من القواعد التي تهيمن على سير عمليات البحث وتحدد مجالاتها الاساسية حتى يصل الى المطلوب[٢] اتخذ البحث طابعاً وصفياً-تحليلياً ليتلائم مع موضوع البحث الا وهي الامثال والحكايات الشعبية الموصلية وما يتضمنه الماثور الشعبي من قيم وعادات وتقاليد ،ولجأت الباحثة الى استخدام منهج تحليل المضمون بوصفه منهجا يقوم بوصف المحتوى بشكل موضوعي فضلاً عن انه يكشف عن دوافع واهداف الكاتب او مصدر المادة المراد تحليلها .

٥-اختيار العينة :لجأت الباحثة الى اختيار العينة القصدية الانتقائية وذلك لاختيار الامثال والحكايات الشعبية الموصلية الخاصة بالرجل من مجموعة من الكتب الخاصة بهما ،وتصنيفها وفقاً لما تتضمنه من

معايير وقيم اخلاقية ومواقف اجتماعية متنوعة بتنوع مظاهر الحياة.

٦-المفاهيم تضمن البحث على مفهومين اساسيين هما :

١-الامثال:جمع مثل وهو في اللغة الشبه والتشبيه اي النظير ،وقال المبرد ان المثل مأخوذ من المثال وهو الشبيه وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالاول والاصل فيه التشبيه [٣] .واختلف مفهوم المثل في الكتابات القديمة ،ويبدو ان ذلك راجع للتاثر بالرؤى والمرجعيات التي انطلق منها اصحاب هذه التعاريف من لغويين وفقهاء ومؤرخين وغيرهم ،فقد عرف ابو عبيدة القاسم بن سلام في كتابه الامثال فيقول،"هي حكمة العرب في الجاهلية والاسلام ،وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في المنطق ،بكناية غير تصريح، فيبلغ لها بذلك ثلاث خلال :ايجاز لفظ واصابة معنى وحُسن تشبيه " ،والمثل في قول الفارابي "هو ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه في ما بينهم وقنعوا به في السراء والضراء ،ووصلوا به الى المطالب القصية وهو ابلغ الحكمة لان الناس لايجتمعون على ناقص ،ولذا فالمثل قيمة خلقية مصطلح على قبولها في شعبها وهو يمر قبل اعتماده وشيوعه في غربال معايير هذا الشعب ،وينَم صراحة او ضمناً عن هذه المعايير على كل صعيد وفي كل حال يتعاقب عليها الانسان في حياته .

على ذلك فكل تعاريف المثل لاتخرج عن "كونها عبارات قصيرة ترسلها البيئة الشعبية التي انبثقت عنها وتدور على السنتها دون ان تبدل نصها او تحرفه وغالبا ماتكون مرتبطة بحادثة او قصة مؤثرة فيخرج المثل ليلم بالحادثة في كلمات قصيرة يسهل حفظها وتداولها بين الناس"[٤] .

فالامثال الشعبية اجرائياً هي عبارات قصيرة تختزل تجربة اجتماعية مر بها الشعب تنطلق على السنة افراده لغايات متعددة متنوعة ،بتنوع المواقف والحوادث التي يمر بها افراد المجتمع .

٢-الحكاية الشعبية :في المدلول اللغوي للحكاية هي كلمة تحمل في اعطافها اصلا حسيا ؛ فالحكاية من المحاكاة او التقليد ، وترتبط اولا وقبل كل شيء بمحاكاة الواقع او في اقل تقدير بمحاكاة واقع نفسي للعقل الاجتماعي يقتنع اصحابه بحدوثه ،وعلى هذا الاساس تكون الحكاية استرجاعا للواقع او ما يتصور انه الواقع من خلال الكلمة [٥]،فـ(حكى) الشيء –حكاية– اتى بمثله وشابهه، يقال هي تحاكي الشمس حسنا [٦] .

اما المفهوم المتعلق بالاساطير والخرافات وسرد الاخبار فقد جاء تساهلاً كما يذكر صاحب محيط المحيط اذ قال :وتساهل قوم في اطلاق لفظ الحكاية بمعنى الاخبار ،ومنه قول الحريري في المقامات قال المخبر بهذه الحكاية [٧]وبذلك فان الحكاية كانت في اول امرها

تدل على المحاكاة رغبة في التسرية ،ومن ثم اصبحت تدل على المحاكاة رغبة في التلهية او التسلية ،وجاء منها "الحاكية" المحترف الذي يقلد الذي يقلد الناس لاضحاكهم ،ثم وردت بمعنى رواية القول فنقول "حكيت عنه الحديث حكاية" وقد تدل على مجرد المشابهة ،اذا كان شيء يحاكي اخر لشبه بينهما [٨] .ومن معجم المصطلحات الادبية المعاصرة يطالعنا مصطلح الحكاية الشعبية على انها "شكل سردي تقليدي ،تضم صور الشعب وبطولاته الاخلاقية والتعليمية والاجتماعية ،بشتى مغامراتها ،وهي ذاكرة شعبية مجهولة المؤلف غالبا ،تنقل شفويا "[٩]اذن فالحكاية وثيقة الصلة بالشعب، وهي المعبرة عنهم، اذ تحكي واقعهم وتمد جسورها الى الخيال بقصد المتعة احيانا والحكمة المرادة في الختام او كليهما معا (المتعة والحكمة)من خلال ثقافة المجتمع الشعبية وهي تحمل عنصري القدم والصانع[*] ،فهي خيال الشعب ،وابطالها المجتمع ورموزه او نماذج بسيطة من مجموعة (المجتمع)تحمل خصائص العراقة ،والمرونة ،وحرية الرواية الشفوية بالزيادة ،والحذف عبر العصور والبيئات [١٠]. ومما تقدم نستطيع ان نستخلص **التعريف الاجرائي للحكاية:** فهي نتاج فكري غير مدون ،او في طور التدوين احيانا، ينتقل من جيل الى جيل بالرواية الشفوية ، ولايعرف لها مؤلف او مبدع، ويشترك في روايتها والتاثير فيها الشعب، فهي انعكاس لجمل ظروفه الطبيعية والحضارية، والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية . . .، وهي تنقل خبرة المجتمع وتجربته القديمة عبر العصور للاجيال شفاها تارة، وكتابة تارة اخرى .

المبحث الثاني : السمات الايجابية للرجل

للرجل في المأثور الشعبي صور عدة تتنوع بتنوع اطوار الحياة وواقعها الاجتماعي فهو (الاب والابن والاخ والزوج . . .الخ)، وكانت ولاتزال تلك الصورة الشرقية للرجل العربي الذي يمتاز بالبطولة والشجاعة والشهامة ، حاملا للغيرة العربية على ارضه وماله وعرضه ،الرجل الذي يمتاز بخصال واخلاق حميدة تعكس كل ماهو محترم وذو قيمة اجتماعية عالية ،فهو رجل يكسب رزقه بتعب كتفه وبعرق جبينه ،وهو مخلص وامين ،يتمتع بالجرأة التي تمنحه القدرة على اذلال المصاعب وتجاوز المحن ،هذه الصورة الايجابية بكل ما تحتويه من معاني نجدها مجسدة في المثل والحكاية الشعبية الموصلية ووفقا للصورة التالية:

أ–الغيرة على الشرف: مانراه في المثل الشعبي من صورة للرجل الغيور على شرفه وكرامته انما هي صورة مجسدة للواقع الاجتماعي فلطالما تمتع الرجل الشرقي بتلك السمة فهو بالمثل الموصلي "ابن اوجاغ" و"رمح ما ينزل الجخجخ" فهو معروف عنه بانه غيور و"ابن فراش وغطا" ويعرف بانه "اذا الغيرة ما بالراس ماينفع كلام الناس "

وهو رجل قد خبر الحياة وكنهها و "ما يقدر يضغبو بثلم " فهو حريص على اهله وعرضه وماله ، وفي الحكاية الشعبية نجده ايضا غيوراً على شرفه فالحفاظ على الشرف من اعظم الامور الموكلة الى الرجل ،في سبيل ذلك فانه يقوم بالعديد من الامور حتى اذا اضطر الى القتل ولاسيما ان العرف الاجتماعي يقف الى جانبه ويشد على يده،في هذه المسائل، فالرجل يشرف على تطبيق العرف الاجتماعي على ابنائه وبناته واهل بيته كافة ، ولايقدر ان يخالفه احد ،او ان يعترض عليه وفقا للتقاليد والعرف السائد كما في حكاية (السمكة الضاحكة)[١١] ،"يترك الاب ابنته متوجهاً لاداء فريضة الحج ، وفي يوم تعثر ابنته على صرة فيها مسحوق ابيض فتذوقت قليلاً منه، فيعلم والدها بعد رجوعه بامر الصرة التي عثرت عليها، الا ان هذا المسحوق مسحوق سحري تحمل الفتاة بسببه ،وبعد اشهر تضع طفلاً، فما كان من والدها الا ان يضع ابنته مع هذا الطفل في صندوق ويرميه في النهر ليخلص من الفضيحة ،ليجدها صياد وياخذها الى داره ويكرم مثواها رغم رزقه القليل ،الذي بالكاد يكفي له ولاسرته ،فيكرمه الله لحسن صنيعه ،فيصطاد سمكة غريبة يهديها للوالي بناءً على اقتراح الطفل الذي تكلم وهو في المهد فيحمل الوالي السمكة الى ابنته ،التي تظاهرت بالخجل والحياء من السمكة ،فتضحك السمكة على ذلك ،فيغضب الوالي ويطلب من الصياد ان يعرف لماذا ضحكت السمكة ،فيساعده الصبي الذي تكلم في المهد في معرفة لماذا حكت السمكة ، فياخذ الوالي مع كل حاشيته الى غرفة البنت وحينها يطلب الصبي من الملك ان ياخذ سيفه ،وينزل الى سرداب له طريق تحت سجادة في غرفتها ،فيجد عشيق ابنته ومعه اربعة اطفال الثمرات المحرمة من ابنته ،الذي كان هو السبب في ضحك السمكة استنكاراً من خجل بنت الوالي ،فما كان من الاب الا ان يقتل عشيق ابنته على مرأى ومسمع من الناس " .

ونجد تاكيد نفس الفكرة في حكاية (هرد وبدي)[١٢]"بعد ان دفع مهرها بكل مايملك من ليرات وقروش جمعها، بجهد كبير واعمال شاقة ومع ذلك تستدرج زوجها ليذهب في طرق الصد مارد من اجل ان يخلو لها الجو مع عشيقها، يخرج الزوج من البيت فتسرع الى اناء الماء لتغسل وجهها وتمشط شعرها وترتدي ثوبا ورديا طويلا ،وكحلت عينيها ورشت على شعرها وثوبها ماء الورد لتبدو بكامل زينتها من اجل عشيقها، وبينما كان زوجها سائرا في طريقه، من اجل احضار ماطلبت منه زوجته ،تلاقيه في الطريق امراة عجوز فتساله عن وجهته فيجيبها فتنهاه عن الذهاب ، ويكتشفان اللعبة فيقتل الرجل زوجته بطعنات متتالية ويقتل عشيقها معها"

وقد يختلف الامر مع الزوجة خاصة اذا كانت غريبة اي ليست من اقربائه، لا ،فلا يعيب عليه ان العرف اذا لم يقتلها ويكتفي بطلاقها، فالطلاق يجد ذاته يرد كرامته، لتكون نظرة الاحتقار للمراة المطلقة الخائنة ،كفيلة بعقابها، ولهذا يكتفي الرجل في حكاية "الزوجة الخائنة والصديق الوفي" [١٣]بان يطلق زوجته بعد مايكتشف خيانتها، ومحاولتها اغراء صديقه ."فما ان يترك التاجر زوجته مسافراً الى الشام ،تحدثها نفسها بفعل الفاحشة ،وتحاول اغراء صديق زوجها ،وتستعمل لذلك جمالها وزينتها لتغريه، ولكنه يمنعها بالقوة ليسجل بذلك مثلا للصديق الوفي ، ولما يعلم الزوج بما حصل في غيابه من امانة صديقه، وخيانة زوجته يطلقها" .

ويحدث نفس الشيء في حكاية (ام القويقب والحجول)[١٤]"تتظاهر الزوجة بالتقوى والعبادة والعفه ،وتستغل خروج زوجها كل يوم اي عمله لتستقبل في بيته رجالا غرباء ،فلما يكتشف خيانتها، وعدم حفظها لعرضه يطلقه" .

٢-الرجولة ومقياسها الاجتماعي(الشجاعة والجرأة) : لقد رسمت لنا الامثال الشعبية صورة للرجل الشجاع ليس فقط بدنياً وانما من الشجاعة من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم)وبما ان المجتمع الموصلي وكما هو معروف عنه انه ملتزم دينياً تأتي الامثال الشعبية مؤيدة لذلك عاكسة صورة للمجتمع الموصلي بكل مايحمله ويتضمنه من عادات ومعايير وقيم اخلاقية فالمثل الشعبي يصف الرجل الشجاع بانه "اخو اختو" و"ابن حمولة "و "اش يقع من السما تتلقانو الاغض "و "ما يأخذ الغوج الا الخلقا " ،"دموا ابكفو"،"زور زاني" ،"قرشوا ٤١بارة" "وعليه ان يتمتع بالصبر وتحمل المسؤولية فالمثل يقول "الثلج عالجبال والدين عالرجال :و "يانبلة فوك نبلة انا ثابت بيج وبلا ياج " "مافاز باللذات الا الجسور" .وتعد الشجاعة من اهم المقاييس الاجتماعية للرجولة ،وفي عصر انتهى فيه زمن الفروسية والفرسان، اصبحت جدران البيوت التي حلت محل الخيام ،تحمي الرجال واسرهم من مخاوف ومخاطر الليل ،اصبح التفاضل بين الرجال يتم وفق مقاييس جديدة في مقدمتها الدخول الى الاماكن المخيفة ليلا لاثبات الشجاعة والبطولة ،في عصر الظلام قبل انتشار الكهرباء ،وهذا ماتحدثنا به حكاية (انا زكية)[١٥]"تطلب الام من ابنتها زكية ان تسرع في اخذ الكبب وهي الآكلة المعروفة بها مدينة الموصل الى اختها مكية، فاسرعت الخُطى في الزقاق الضيق ،وقطعت زقاقا ثم اخر ،ووقفت عند قنطرة الجان ، واخذت تردد مع نفسها (اخاف من قنطرة الجان)فقد دخلها والدها في الليل ليثبت شجاعته لاصدقائه ودق فيها سكة، فاذا بالجان تتنافر من حوله ،وحينما حاول الخروج منها فاذا بالحائط يسد الطريق امامه وقالت له الجنية الا

تتزوجني ايها الانسي ساخذك الى مملكة ابي فانا ابنة ملك الجان الاحمر فحاولت خطفه، فقرأ اية الكرسي فاذا بالنار تحرقهم ويرتفع الحائط ويخرج والدها . . .) .

وتبرز الشجاعة في مواجهة الصعب وفي المواقف الاجتماعية التي تتطلب وقفة جريئة لمساعدة المحتاجين ،كما في حكاية (بنت الصياد) [١٦] "بعد سنوات من الدعاء والصبر ترزق زوجة الصياد ببنت ،وتكبر هذه البنت وبينما كان والدها يمشي في الغابة ليصطاد هجم عليه اسد الغابة الخاص بغول الغابة فقتله، فيغضب الغول ويذهب الى بيت الصياد ولايجد سوى ابنته الوحيدة فيحولها الى صخرة ،ويحزن الصياد وزوجته ،ويعلم ابن الملك بالامر فيصر ان يذهب الى الغابة لقتل الغول وفي طريقه يجد امرأة عجوز فيساعدها على تقطيع الحطب، وتساله عن سبب وجوده في الغابة ويخبرها بالقصة ،فتدله على السيف الذي يقطع الغول وعلى الحصان السريع الذي يطير عاليا فوق الغول ويعود ببنت الصياد الى حالتها الطبيعية " .

٣-**العمل:** للعمل قيمة ومكانة اجتماعية كبيرة باعتباره العصب الاساس للحياة وقد تتحدد المكانة الاجتماعية للرجل بمقدار مايملكه من مال في بعض الاحيان ولدى بعض الطبقات الاجتماعية فيقول المثل" الما عندو فلس مايسوى فلس"و "والما عندو بولي مايسوى بولي ولاكلمتو عند الناس مقبولي "[*] و"المال عز الرجال" و"القلي ذلي " ،والرجل الذي يتمكن من ان يتحصل على رزقه ورزق اطفاله هو الذي يقول عنه المثل ،"رجال اليعبي بالسلي ركي" و" ابو الهمايم" و"اشتغل بفلس وحاسب البطال"و "اللقمي ماتنزل بلا علس" و"اشتغل العيد والاحد ولا تعتاز الاحد" "الصنعة خاتم ذهب" ،و"صاحب صنعة ولا صاحب قلعة" .وعليه ان يتحلى بالجراة في العمل ف"ابو الصنعة ينغادلوا جرعة" "تشمل وتشكخ" اي شمر عن ساعديه ورفع اذياله عن ساقيه كنية عن الاستعداد والتهيؤ للعمل و"اليستحي ايموت من جوعو " "جيب حيل وخذ اغجيل" و"جيب حيل وخذ شغل"، كما ان العمل مطلوب فان الاحترافية فيه مطلوبة ايضاً ف"التفك للنيشان والفرس للميدان" و"والما حجغ على حجغ" و "دق امغصغص" ، وان كان لابد فعليه ان يتعلم صنعته ويتحصل على مهارة ممارستها "ايد الماتحوك تكسغ المكوك" و"الما يتقنطغ مايصيغ خيال" و "الما ينفض الكعش مايصيغ قصاب" وان يعرف كيف يتصرف باموله ويضعها في مكانه الصحيح " الطير بالطير ينصاد والمال بالمال ينقاد" و"الفلس ايجيب الفلس "و"كل فلس يغيدلوا عقل"، وان لكل شيء ثمن " ماء السوس ماينباع الا بفلوس" و"لكل حجرة لها اجرة" و"خبي العسل بجرارو حتى تجي اسعاروا " وكذلك عليه ان يكون مدبرا ويتعلم

بان " التدبير نصف المعيشة" و"ماي البير بالتدبير "و"الدبر ماجاع والرقع ما عري"و" اغفع القرش الابيض لليوم الاسود " ولايصبح مبذرا فالمثل يقول "اللي يصغف كثيغ بيتو يخغب" و"مثل كوز وعياغ ياخذ من فوق ويعطي من تحت "و"ايدو فلتك" ،وهذا التدبير يجب ان لايصل الى درجة الشح والبخل وعدم الانفاق على الاهل فهو تدبير بمعقولية فيقول المثل"حصل صمد كدي وكل "و"البخيل مالو الغيرو" وتصف البخيل وتشبهه بانه "ايدو مغلولي "و"عوجي ماتطلع" و"ايدو يبسي" و"مايند النديد من ايدو " .

وصورة الرجل الحريص على توفير الرزق الحلال لاسرته من اكثر الصور التي تطرقت لها الحكاية الشعبية ،واكدتها في العديد من المرات وباشكال مختلفة فقد يسافر الى بلد اخر ،طلبا للرزق الحلال كما في حكاية (قبيح ومليح) [١٧]"فلم تثني دموع الام ابنها مليح عن السفر الى مدينة اخرى ليجد عملا شريفا يعيش منه ويرعى به امه . . ."وفي حكاية (فن النسوان رقصني) [١٨] ،يهجر الفلاح ارضه بعد ان خسر زراعته ويسافر بعيدا عن اهله ،ويمضي يوم كامل يعمل بالاجرة ،ليعود الى اهله بعد ان اخذ حصة من الارباح. . " .

ونجده يخرج منذ الصباح الباكر ليبدأ بالعمل ،كما في حكاية (الشواك والابطال السبعة) [١٩]،"فلقد كان الشواك يخرج كل يوم مع فلق الصباح، وبيده فاس يحطب به الشوك ويجعله حزما يحملها على كتفيه ويذهب بها الى السوق يبيعها، وهكذا قضى حياته بالعمل الى ان وافاه الاجل . . ." . وفي حكاية (السمكة الضاحكة)"كان الصياد يجلس كل يوم عند حافة النهر ويرمي سنارته وينتظر بلا ملل ،ليعود بقوت عياله وزوجته " وغيرها العديد من الحكايات التي تعرض لنا انواعا من المشاكل والمتاعب التي تواجه الرجل ،وهو يبذل قصارى جهده لتحصيل قوت اهله.

ولعل هذا المقياس استمد قيمته من التراث الاسلامي الذي يعتز به الموصلي ويحاول كثيرا بيان ارتباطه الوثيق به ،وقد زودنا هذا التراث بصورة من هذا المقياس والجميع يعرف ان عفو عمر (رضي الله عنه) عن شاعر الهجاء الحطيئة كان من هذا الباب اذ اخلى سبيله بعدما سمع شعره ،الذي استعطف فيه عمر (رضي الله عنه)، وهو في سجنه ومنه قوله:[٢٠]

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ زغب الحواصل لاماء ولا شجر

القيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

٤-الخبرة والتجربة في الحياة :الرجل بحكم عمله وخروجه من المنزل وعلاقاته الاجتماعية المتعددة والمتنوعة واحتكاكه مع طبقات وفئات اجتماعية مختلفة يمنحه ذلك الخبرة في الحياة ويصبح ذا تجربة واسعة اكثر من المراة التي تكون علاقاتها عادة محدودة ،المثل الشعبي يصفه بانه "كل مسح الف طبليي" و"يعرف من اين تؤكل

الكتف"و "ايدو ميزين"و "كل شي بوقتو طيب" و"كلمن يمد غجلوا على قد بساطو" وهو يعرف بان "عاشر الاجاويد منهم تكتسب وتزيد اتعاشر الانذال تتعلم طبايع سود"و "الناس معادن" و"كل ذقن ولها مشط"و "يحسبا وهي طيغا" و"قنطاغو بجزيمو" كذلك يقول المثل بان "الناس اجناس منهم ورق دفلة ومنهم ورق اس ،الرمل ماينعجن والشوك ماينداس والبيت مايبني الا يكون لو اساس "فهذا المثل فيه من المعرفة والدراية الكم الهائل وغيره الكثير من الامثال الموصلية .

كذلك كان الرجل في الحكاية الشعبية حكاية (رحمة الله) [٢١]،تساعد الفتاة رحمة الله الحافظة للقرآن التي لاتريد الا رحمة الله ،الشاب الفقير العاطل عن العمل في ايجاد عمل له وتشير عليه بالخروج للتجارة ،فيكتسب هذا الرجل خبرة ويتعلم من الناس معارف كثيرة، وكلما ذهب في سفره اكتشف ان مايبدو له ولغيره غير مفيد هو في الحقيقة مفيد لمن يعرف كيف يستفيد منه وفي الوقت المناسب . . . " .

٥-الاخلاق

يعتبر المثل الشعبي من اكثر فروع الثقافة الشعبية ثراء في اللغة يعبر في معظم حالاته عن نتاج تجربة شعبية طويلة ،ويعكس بصدق عادات الشعوب واسلوب عيشهم ومعتقداتهم ومعاييرهم الاخلاقية ،وهي في تصويرها لانماط وسلوكيات البشر بكل اشكالها تلقي الضوء على المحافظة على بعض القيم وتدعو الى التمسك بها [٢٢]فالامثال الشعبية تدعو الى الالتزام بالحياء والتواضع والصبر والصراحة والتأني والامانة والصدق وغيرها من الاخلاق الحميدة ففي هذا الجاني يقول المثل "الامين يشارك الناس اموالا ""حليبو صافي"و "لتامنك لاتخونوا لو كنت خاين" وفي الصدق فهي تذم الكذب وتُبين مساوءه ف "الكذب حجة والصدق انجى" و"احبل الكذب قصير "و"شمعة الكذاب تنطفي قبل العشي"،"ايقول وما كو قبض" والصبر "راح الكثيغ وظل القليل "و"اصبر عالحصرم تاكلو عنب""، وهذا مانجده ايضا في الحكايات الشعبية والتي تتضمن عادة جوانب اخلاقية تؤكد عليها وتدعو الى التمسك بها ومن هذه الحكايات حكاية "الزوجة الخائنة والصديق الوفي" [٢٣]"فما ان يترك التاجر زوجته مسافراً الى الشام ،تحدثها نفسها بفعل الفاحشة ،وتحاول اغراء صديق زوجها ،وتستعمل لذلك جمالها وزينتها لتغريه، ولكنه يمنعها بالقوة ليسجل بذلك مثلا للصديق الوفي ، ولما يعلم الزوج بما حصل في غيابه من امانة صديقه، وخيانة زوجته يطلقها" ومن هنا يثبت الصديق بانه على مستوى عالي من الاخلاق بعدم خيانته لصديقه .

المبحث الثالث :النقد الاجتماعي للسمات السلبية

كما رسمت لنا الامثال والحكايات الشعبية صورة ايجابية عن الرجل فهي ايضا رسمت في الوجه الاخر للمثل الصورة السلبية ،فهي تحاول ان تشخص الجوانب السلبية في شخصية الرجل وتقويمها من خلال النقد الاجتماعي الموجه لتلك السمات والسلوكيات والمواقف الاجتماعية ،

١-الكسل والخمول

كما تحث الامثال والحكايات الشعبية على العمل وطلب الرزق فهي تذم البطال كما يقول المثل "كن خلص بانزينو" و "شبغ كسل بذغاع فقع "و"يكش ذبين" و"حطيطة"(*)و"اكل ومرعى وقلة صنعة" و "العمغ من الله والعيشي عالجيران" و"لايضر ولاينفع" و" وتنصحه الامثال بانه "البطالي ما اطعم خبز" و"الله مايدندل ابزمبيل" كما انه "المابينو خيغ نومو خيغ" وهذا مانجده في الحكاية الشعبية حيث تذكر لنا صفةً سلبية من صفات الرجل الا وهي الكسل والتهاون في اداء عمله ،والذي يتهرب من مسؤوليته باعالة اهل بيته، فان ذلك لكسله وخموله كما في حكاية (زوجة ملا ناصر) [٢٤]"وكان الملا عاطلا قاعدا على سبع خرزات ظهره ،في حين امراته تكد وتكدح ،لم يبع ولم يشتر في حياته كلها ولم يربح فلسا واحدا ،يقضي جميع اوقاته في المقاهي والملاهي يؤنس، الناس بملحه ونكاته وفكاهاته ومضحكاته، ويقص عليهم الحكايات الهزلية وهكذا مضى على زواجه اربعون سنة" وفي حكاية (محمد الكسلان) [٢٥]"كان محمد كسولا جدا بلغ من العمر اكثر من ثلاثون عاما ولم يفكر قط في ايجاد عمل ما يعمل به ولكن نتيجة لاصرار امه التي لم تعد تقدر على برم الغزل وبيعه لتطعمه من فضل تعبها وكدها فلا يجد مفرا من ان يستجيب لها ولطلبها . . . "

٢-الاحتيال والخداع :هو استغلال الغير وخداعه ،لاغراض مختلفة سواء التهرب من المسؤولية فيقول المثل بانه "يمرك مثل السمكي " و""مثل افريش الاكرع"(*)كما انه يمكن ان يحتال على الاخرين لغرض مصلحته الشخصية فهو" ايد الما تطيق اتعضا بوسا"و "على كل تيل يلعب "و "ايزتلو لقط (*)" و"يبوق الكحل من العين "و" فتال احبيل " و"يعطي بيدو وياخذ بغجلو"و ""يسرح مع الغنم ويأكل مع الذيب" و"ابو وجين" و "اكله وشغب عليها ماي بيغد" و "ركبنانو قفانا مد ايدو بالخغج" وهو قد يحتال ليخرج نفسه من ورطة ما فـ"يعمل هاور زاور" و"يدفع الصايل عن نفسو "غيرها من الامثال الشعبية التي تناولت هذا الموضوع ،كذلك الحال بالنسبة للحكاية فالرجل المحتال هو الذي يتلاعب على الاخرين، ويستغلهم ويحتال عليهم طمعا فيما عندهم في الوقت الذي تندر وجود مثل هذه الحالات بين سكان القرى اللذين يعرف احدهم الاخر فان المدينة باحتكاكهم مع اصناف من الناس يستسيغ كثير منهم الحيلة والدهاء

والايقاع بالاخرين وهذا ماتحدثنا به حكاية (فن النسوان رقصني)"فبعد ان ياخذ الفلاح اجره لقاء عمله في المدينة، يستودع الفلاح نقوده عند تاجر اسمه سعيد ،وقبل السفر بيوم جاء الفلاح الى التاجر ليسترد امانته الا انه فوجئ بالتاجر ينكر عليه هذا الطلب ويرده ويطرده، بل هدده ان لم ينصرف فانه سيرفع امره للقاضي. ."

٣-التشبه بالنساء:اي المتشبهون بالنساء من الرجال كأن يلبس الرجل لباس المرأة، فهو "كن لعب بخلقتو" كما يقول المثل و"مالوا صرماية بنفسو" و "غجال سلق وسماق،غجال بالعصا ينساق " وهناك بعض الرجال لايستحقون ان يسمون بذلك ف "مايشكخو كيس تتن" و"يطغي شيبو *" و"توثيبي بلا نجغ" و"بعد ما اخضغ واحترق قام ينبت لو ورق" فهو يتصرف تصرفات صبيانية ومتهورة فهو "شلولو"و"غاس بلا اسفل"و"خفيف مثل الغيشايي"و"مغوحة ويهبهب""ولبس المركرك بالشتا"وغيره وهو في الحكاية الشعبية نجد انعكاسا لهذه الصورة فحكاية(الحشاش كيار والوسيط موشي)[٢٦]"تصور نفسه امراة لشد ما اخذه دخان الحشيش الى حصل عليه من اليهودي، فهرع الى صندوق ملابس زوجته واخرج الفستان والعباءة وغير ذلك من البسة النساء وارتداها" وقد يتشبه الرجل بصفات المراة ،كالجلوس في البيت على عادة النساء ،كما في حكاية (حرق والسعلوة)[٢٧]"بعد ان نفذ صبر الام اخذت توبخ جرق،وتقول له :انظر اولا الناس ماذا ينقصك؟ جالس امامي لو كنت رجلا لخرجت مع القوم في قوافلهم التجارية .

تعد الامثال والحكايات من اهم موضوعات الماثورات الشعبية عامة والادب الشعبي خاصة حيث انها تعبير ادبي عبر به الانسان عن تجربة عايشها او اكتسبها اوخبرة اكتسبها من خلال ممارساته اليومية للحياة بجانب انها تعبير عن رؤية فكرية وموقف معين من الحياة عبر عنه الانسان بعبارة ادبية موجزة وتعبر عن التجارب والافكار والمشاعر الانسانية والانفعالات النفسية اصدق تعبير تبعا لتعدد مجالات التصور الذهني وتنوع حالات الانسان ازاء المتغيرات التي يواجهها في حياته [٢٨]ووظيفتها لا تتوقف عند رسم معالم الحياة الاجتماعية بل تقدم النموذج الواجب اتباعه او صورا عن السلوكيات المقبولة اجتماعيا مستخدمة في ذلك اساليب متنوعة المدح والذم ،والتهكم والسخرية، والنصح والارشاد والتوجيه ،وغيرها من الاساليب التي تدفع بالفرد الى الالتزام بعادات وتقاليد وقيم ومعايير مجتمعه .

نتائج البحث

١-قدمت الامثال والحكايات الشعبية صورة ايجابية للرجل الذي يتمتع بالشجاعة والكرم والاخلاق الحميدة الفاضلة بمجملها ،وقدمت صورة اخرى مناقضة للصورة الاولى تعكس الجوانب السلبية في الرجل .

٢-اتبعت اسالیباً متعددة لتعزيز الصورة الايجابية من خلال استخدام اسلوب المدح والثناء للالتزام والتمسك بها، والحد من الصفات والسمات السلبية من خلال اسلوب الذم والتهكم والسخرية والنقد الاجتماعي لغرض تجنبها .

٣-رسمت الامثال والحكايات الشعبية سمات شخصية للرجل بكافة ادواره الاجتماعية سواء أكان (زوجاً ،اباً ،ابناً واخاً)، فكان للامثال الشعبية دورها المميز في ذلك من خلال كونها الاكثر تداولا بحكم انها عبارات قصيرة تقال في مواقف اجتماعية معينة غالباً ما تكون قصيرة زمنياً ، لغرض توجيه سلوكيات افراد المجتمع تجاه شيء معين وتجنب نقيضه ، ولكونها الاسهل استحضاراً في ذاكرة الانسان .

المصادر

[1] عبد المجيد عبد اللطيف ،التراث الشعبي هل هو شيء منعزل /مجلة التراث الشعبي وزارة الثقافة والاعلام العددين ١١و١٢، ١٩٨٤،ص٩

[2] محمد زكي بدوي، معجم المصطلحات للعلوم الاجتماعية ،مكتبة لبنان،بيروت–لبنان،١٩٩٦،ص١٩٢.

[3] الغلامي محمد رؤوف ،المردد من الامثال العامية الموصلية مطبعة شفيق ،بغداد، سنة ١٩٦٤،ص٦.

[4] د الخوري لطفي ،في علم التراث الشعبي، الموسوعة الصغيرة ،دار الحرية ،بغداد،١٩٧٩،ص١٠.

[5] طلال سالم نايل ،دور الفنون التقليدية الذائعة شفاها واثرها في ارساء قيم فاضلة ،مجلة التراث الشعبي ،العدد٢،السنة ٨،١٩٧٧،ص٨٩.

[6] الشيخ عبد الله البستاني ،الوافي معجم وسيط اللغة العربية، مكتبة لبنان،لبنان،١٩٨٠،ص١٤١.

[7] بطرس البستاني ،محيط المحيط ،مادة حكى،ص٤٣٢.

[8] احمد الشنتاوي واخرون ،دائرة المعارف الاسلامية، المجلد ٨،دار المعارف ،القاهرة، ب–ت، مادة حكاية ص٤.

[9] سعيد علوش ،معجم المصطلحات الادبية المعاصرة،ط١،دار الكتاب اللبناني،بيروت،١٩٨٥،ص٧٣.

* الصانع: هو الحكواتي الذي يتمثل خيال الشعب الثقافي وروحه الاجتماعي فيجسده قصصا وحكاية ،تنقل كلماتها عبر العصور ،ولكنها تعبر عن وحدة مضمونها الشعبي .

[10] عبد الحميد يونس ،الحكاية الشعبية ،الهيئة المصرية العامة ،القاهرة ،ب–ت،ص١١.

[11] عبد الباري عبد الرزاق النجم ،حكاية موصلية السمكة الضاحكة، مجلة التراث الشعبي ،العدد الثامن، اب ،١٩٧٠،ص٨٧–٩٤.

[12] د.عمر محمد الطالب، اثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية، مصدر سابق ،ص١١٩–١٢٥.

[١٣] عبد الباري عبد الرزاق النجم ، ملامح من الحكاية الموصلية ،حكاية "الزوجة الخائنة والصديق الوفي ،مجلة التراث الشعبي ص١١٢-١١٣.

[١٤]المصدر نفسه ،ص١١٦-١١٧.

[١٥] د.عمر محمد الطالب ،اثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية ،ص١٢٦-١٣٣.

[١٦] عبد الجبار صادق التكريتي ،بنت الصياد، مجلة التراث الشعبي ،العدد الثاني عشر، السنة ١٢،كانون الاول ،١٩٨١،ص١٩٧-٢٠٠،وفي العدد ١٠ وردت نفس الحكاية ،ص٨٥.

[*] بولي: هي قطعة نقدية حقيرة القيمة ،ويطلق ايضا على قطع صفراء تشبه النقد الذهبي ليس له قيمة وانما للتزيين فقط.

[١٧] د.خليل محمد ابراهيم، حكاية شعبية (قبيح ومليح) ،مجلة التراث الشعبي ،ع١،السنة٣٩، ٢٠٠٨ ،ص١٥٦-١٥٨.

[١٨] فالح السيد احمد، الاثر التربوي للحكايات الساخرة في الموصل، مجلة التراث الشعبي ،ع١،السنة ٣،ايلول١٩٧١،ص٨٣-٨٨.

[١٩] داؤد سلمان الشويلي، القصص الشعبي في ضوء المنهج المورفولوجي ،الموسوعة الصغيرة ٢١٩،وزارة الثقافة والاعلام ،بغداد،١٩٨٦،ص١٠٤-١٠٦.

[٢٠] د.علي محمد الصلابي ،فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب (رض) شخصيته وعصره ،دار الايمان للطبع والنشر ،الاسكندرية،٢٠٠٢،ص١٤٧.

[٢١] عبد الحليم اللاوند ،نظرات في الزجل والادب الشعبي الموصلي مع دراسة تحليلية لشعر عبو لمحمد علي ،شركة الجمهور ،ط٢،الموصل،١٩٨٥، ص٢٢٦-٢٢٩

[٢٢] عبد القادر شرشار، المثل وانعكاساته على ثقافة المجتمع، مقاربة سوسيولوجية ،مصدر سابق ،ص٣.

[٢٣] عبد الباري عبد الرزاق النجم ، ملامح من الحكاية الموصلية ،حكاية "الزوجة الخائنة والصديق الوفي ،مصدر سابق، ص١١٢-١١٣.

[*] من حط الشيء اذا وضعه على شي اخر، فهو لايصلح للعمل لانه كحاجة موضوعة لاللنفع ولا للضرر.

[٢٤] احمد الصوفي، حكايات الموصل الشعبية ،يصدرها مركز الفولكلور العراقي ،المكتبة الفلكورية (٤) ،١٩٦٢،ص١١٤–١١٨ .

[٢٥] عبد الحليم اللاوند، نظرات في الزجل والادب الشعبي الموصلي، مصدر سابق ،ص٢٣٤–٢٣٩ .

* افريش الأكرع هو حيوان خيالي خرافي يشبه الانسان ،عندما يقع في الماء يتوسل بالناس لاخراحه ويحتال عليهم ،فاذا اخرجوه اخذ يسبهم ويشتمهم وهكذا .

* زت اصلها اي يرمي له الحب ،اي كمن يريد استدراجه كما تستدرج الطيور برمي الحب لها لتانس فيمسكها .

* يطغي يطري من الطراوة اي يجدد شيبو وهو الشعر الابيض .

[٢٦] احمد الصوفي ،حكايات الموصل الشعبية ،مصدر سابق،ص١٢٦–١٣٠ .

[٢٧] عبد الباري عبد الرزاق النجم ،ملامح الحكاية الموصلية، مصدر سابق،ص١٢٦–١٣٠ .

[٢٨] صفوت كمال ،التواصل الثقافي في الامثال العربية ومنهج دراستها ،مجلة التراث الشعبي العددان٥و٦، ١٩٨٣،ص١٢٩